**المحاضرة رقم 03:**

**إشكالية العلمانية من منظور العربي المعاصر**

تعني العلمانية عموما فصل الدين عن الدولة، بمعنى أن جانب من الحياة البشرية لا يخضع لقبضة التعاليم الدينية أو هو خارج سلطة رجال الدين، ومن هنا كان أصحاب المذهب اللاّيكي يطالبون بجعل الحياة البشرية العامة غير خاضعة لسلطة الدين أو رجال الدين (الدين هنا نقصد به تعاليم الكنسية)، وواضح من هنا أن هذه الفكرة غريبة تماما عن الدين الإسلامي والمسلمون الذين يدينون بدين الإسلام، فالدين الإسلامي قوامه علاقة مباشرة بين الفرد وبين الله فهو لا يعترف بأي وسيط وليس فيه سلطة روحية، ومن هنا نرى بأن طرح شعار العلمانية" في مجمع يدين الإسلام لا مبرر له إطلاقا ولا معنى له.

وواضح تماما أن العمانية مرتبطة أصلا بوضعية خاصة، وضعية المجتمع الذي تتولى فيه الكنسية السلطة الروحية، إنه مجتمع يكون فيه الدين مبينا لا على العلاقة المباشرة بين الإنسان والله كما هو موجود في الدين الإسلامي، بل هو قائم على علاقة نمو عبر "رجال الدين" ويرتبط تنظيميا بهيئة دينية عليا تعتبر نفسها المشرع الوحيد في ميدان الحياة الروحية.

ويرى دعاة العلمانية بأن من مكتسبات العلمنة أنها خلصت المسيحية من الهواجس السلطوية، فلم يعد التدين يهدف إلى تحقيق المكاسب والمنافع وإنما أصبح حرا خالص لوجه الله، أي: بدافع من حاجة داخلية عميقة.

عندما استقلت الأقطار العربية وبدأ التنظير لفكرة العروبة و((القومية العربية))، طرح شعار ((العلمانية))، وخاصة في الأقطار العربية التي توجد فيها أقليات دينية (مسيحية بصفة خاصة). وهذا الطرح كان يبرره شعور هذه الأقليات بأن الدولة العربية الواحدة التي تنادي بها القومية العربية ستكون الأغلبية الساحقة فيها من المسلمين، الشيء الذي قد يفرز من جديد وضعا شبيها بالوضع الذي كان قائما خلال الحكم العثماني. وإذن فالدلالة الحقيقية لشعار ((العلمانية))، في هذا الإطار الجديد، إطار التنظير لدولة الوحدة، كانت مرتبطة ارتباطا عضويا بمشكلة حقوق الأقليات الدينية، وبكيفية خاصة حقها في أن لا تكون محكومة بدين الأغلبية، وبالتالي ف((العلمانية)) على هذا الاعتبار كانت تعني بناء الدولة على أساس ديمقراطي عقلاني وليس على أساس الهيمنة الدينية.

مسألة ((العلمانية)) في الوطن العربي مسألة مزيفة، بمعنى أنها تعبر عن حاجات بمضامين غير متطابقة مع تلك الحاجات: إن الحاجة إلى الاستقلال في إطار هوية قومية واحدة والحاجة إلى الديمقراطية التي تحترم حقوق الأقليات والحاجة إلى الممارسة العقلانية للسياسة هي حاجات موضوعية فعلا، إنها مطالب معقولة وضرورية في وطننا العربي، ولكنها تفقد معقوليتها وضروريتها بل ومشروعيتها عندما يعبر عنها بشار متلبس كشعار ((العلمانية)).

وما نريد أن نخلص إليه هو أن الفكر العربي مطالب بمراجعة مفاهيمه، بتدقيقها وجعل مضامينها مطابقة للحاجات الموضوعية المطروحة كما قال محمد عابد الجابري من الواجب استبعاد شعار ((العلمانية)) من قاموس الفكر العربي.

منا القول إنه إذا كان العربي هم ((مادة الإسلام)) حقا فإن الإسلام هو روح العرب. ومن هنا ضرورة اعتبار الإسلام مقوما أساسيا للوجود العربي: الإسلام الروحي بالنسبة إلى العرب المسلمين والإسلام الحضاري بالنسبة إلى العرب جميعا مسلمين وغير مسلمين.